

الرسالة الحاتمية

فبما وافى النبي في شعره كلام ارسطو في الحكمه

بقلم فؤاد افوام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

الحاتمي

الاربيب (تابع)

آثاره

من المعروف ان الحاتمي تصانيف جديدة اثرت في الشعر والادب ، يذكر منها الادباء نحو خمسة عشر بين كتاب ورسالة . فرأينا ان نعدد ما نعرفه منها عن ابن خلكان^(١) ، وياقوت^(٢) ، والسيوطي^(٣) ، وحاجي خلفا^(٤) ، شيرين الى نوع كل متتبع :

١ - حلية المحاضرة

في صناعة الشعر يقع في مجلدين - ذكره ياقوت ، والسيوطي (٥) ، وابن خلكان ، وزاد : « وفي ادب كبير » . وذكره حاجي خلفا ، وزاد : « يشتمل على آداب كثيرة » . (٦)

(١) ابن خلكان : ك.م. (١ : ٦٤٦ و ٦٤٨ : ٢) ياقوت : ك.م. ٥٠٢ : ٦ - ٥٠٣

(٣) السيوطي : ك.م. : ٢٥

(٤) حاجي خلفا : كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون : طبعة Flügel ، في اماكن عديدة شتى اليها .

(٥) في السيوطي : حلية المحاضرة ، وهو تصحيف .

(٦) حاجي خلفا : ك.م. ١١٢ : ٣ - عدد ٦٣٤ - وقد ورد اسم الكتاب في دائرة

المعارف للبستاني : حلية الادب (٦ : ٦٣٨)

٢ - الملباجة

معنى الملباجة الأحمق الضخم الفدم الأكل، الجامع لكل شر. قال ياقوت: وهو كتاب صنّفه للوزير أبي عبد الله بن ممدان في رجل سبّمه عنده، وسُمّي الرجل الملباجة من غير أن يصرح باسمه. ومحور الكتاب صنّة الثمر، وقد ذكره السيوطي وسمّاه «تقريب الملباجة». ولم يذكره ابن خلكان، ولا حاجي خلتا.

٣ - سرّ الصناعة

في الثمر أيضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلتا (١).

٤ - الحالي والمائل

في الثمر أيضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلتا (٢).

٥ - الميجاز

في الثمر أيضاً. ذكره ياقوت، والسيوطي.

٦ - الرسالة الناجية

لم يذكرها إلا ياقوت.

٧ - مختصر المربية

ذكره ياقوت، والسيوطي.

٨ - عيون الكتاب

لم يذكره إلا ياقوت.

٩ - رسالة في الشراب

ذكرها ياقوت، والسيوطي.

١٠ - منترع الاخبار ومطبوع الاشعار

يبدل اسمه على انه من نوع المجموعات. ذكره ياقوت، والسيوطي، وحاجي خلتا. إلا انه أتى مصحفاً عند هذا الأخير، فدعا «منترع الاخير ومطبوع الاشعار لابي علي... الخاتمي» (٣).

١١ - كتاب البراعة

ذكره ياقوت والسيوطي.

(١) حاجي خلتا: ك. م. ٥٩٤: ٣٠٠ - عدد ٧١٣٧ - وفيه ورد اسم الخاتمي مصحفاً بالخاتمي.

(٢) ك. م. ٧٩٤: ٥٠٠ - عدد ١٥٠٨٩ - وورد فيه الحالي والمائل، وهو تصحيف.

(٣) حاجي خلتا: ك. م. ١٦٦: ٦٠٠ - عدد ١٣١٠٨

١٢ — كتاب المصل

ذكره ياقوت وقال : « وهي الرسالة الباهرة في خصال ابي الحسن النبي . »

١٣ — كتاب في اللغة

لم يتم . ذكره ياقوت والسيوطي .

١٤ — كتاب المياري والموازنة

ومذا لم يتم ايضاً . ولم يذكره الا ياقوت .

وهناك الرسالتان اللتان اشرفنا اليهما في المتنبي . اما الاولى منها فسماها :

١٥ — الموضحة

وتعرف بالحاتمية ايضاً . ذكرها ابن خلكان باسم الحاتمية اولاً ثم قال : « وقد سماها الموضحة » (١) ، وذكرها ياقوت والسيوطي بنوان : « الموضحة في مساوي المتنبي » . وزاد السيوطي يد ان يد يد بعض مصنفاته ، كأنه يتكلم عن كتاب آخر : « الرسالة الحاتمية شرح فيها ما دار بينه وبين المتنبي واثار فيها سرقاته . » ولا يخفى ان هاتين الرسالتين واحدة بدليل ما تقدم من قول الموزعين . وكذلك قول حاجي خلتا في ذكر المتنبي : « وبين ابو علي محمد بن حسن الحاتمي البغدادي التوفي سنة ٣٨٨ سركات شعره (المتنبي) وعبوبه في كتاب سماه الموضحة . » (٢) . وقد تقدم لنا وصف هذه الرسالة في التروطة ، فليراجع (٣) . على اننا نشير الآن الى اننا لم نطبع بد طبعة كاملة .

واما الرسالة الثانية فهي التي يهتنا امرها في هذا البحث ، وهي المعروفة

« بالحاتمية » .

الحاتمية

سبب تأليفها

من التريب ان نرى الحاتمي ، الذي عرفناه يتميز غيظاً على المتنبي ويستشيط حسداً له ، حتى يدفعه حب التشفي به والانتقام منه الى قصده في عمر داره ، ومناظرته تلك المناظرة التي وصفناها بانها اقرب الى المهارة ، ثم تبججه بانـه

(١) ابن خلكان : ك . م . ١ : ٦٤٧

(٢) حاجي خلتا : ك . م . ٣ : ٣١٣

(٣) اظلب مشرق شياط الماضي ، ص ١٣٢

اظهر سرقات المتنبي ومعاينه في جلسة واحدة ، من التريب ان ترى رجلاً هذا رأيه في المتنبي ، يتقلب كل الانقلاب ، حتى يصبح من الذائدين عن عدوه بالامس ، ومن المنافرين لحصومه في خصمه السابق ، فيقول في مقدمة رسالته : «والذي بصّني على تأليف هذه الاقفاظ...مفاخرة خصومي فيه (المتنبي) لما رأيت من نفور عقولهم عنه وتصغيرهم لقدرة...» فبجان مغتبر القلوب !

بيد اننا اذا تفحصنا عن الأمر رأينا ان المتنبي اظهر للحاتمي كل مجاملة وكل لين حتى في اشد تهيجاته ، فكان يداريه ويلطفه ، على قول الحاتمي . ولا يهمننا سبب هذه المداواة . انما المقصود من تحقّقها انها غسّلت حقد الحاتمي ، وشفّت نفسه ، فاكفّى بها للدلالة على تقدّمه ، وعلى انه غلب المتنبي فامكنه الفخر بذلك لدى سيده المهلبي ، وسيّد سيده معزّ الدولة . فلم يرَ من حاجة الى استئناف المداواة بمد ، فأخذ يعيل شيئاً فشيئاً عن حاله السابقة و « يعرف حتى المتنبي ويحمل في وصفه » . وذلك بدليل قوله ، في آخر « الموضحة » ، بمد ان يطيل في وصف انتصاره على المتنبي :

« وكنت قد بلغت شفا . نفسي منه ، وعلت ان الزيادة على الحد الذي انتهت اليه ضرب من البغي لا اراه في مذهبي ، ورأيت له حتى القدمة في صناعته . فطأطأت له كفتي ، واستأنفت جيلاً من وصفه . ونهضت فنهض لي مشياً الى الباب ، حتى ركبت ، واقسمت عليه ان يورد الى مكانه . »^١

والخلاصة ان الحاتمي اكفّى بان نقد رغبة المهلبي ، وغلب المتنبي في نظر سيده هذا ، ونظر معزّ الدولة ، ونظر من حولهما من الشعراء والادباء . « وشفى منه صدورهم » جيداً . فلم يبقَ من حاجة الى انقاص قيمة الرجل .

ولعلّ الحاتمي مال ، بمد تلك الحادثة ، الى المتنبي ، وقد امن شره ، ففدا يقدمه ويشيد بذكوره . وهو انقلاب قد نراه احياناً في من فطروا على الاحساس السريع الانفعال ، والشعور المتقلب بتقلب الاحوال . ولكن مهما يكن من امر فلا يخلو هذا الانقلاب من الغرابة .

طبعتها

لا تعرف للرسالة الحاتمية إلا طبعتين. ظهرت الاولى منهما في مجموعة للنس انطون بولاد ، دعاها « راشد سوريا » وطبعا في بيروت سنة ١٨٦٨ ، وهي ذات ٢١٧ صفحة من القطع المثلث المتوسط . والرسالة تقع في ١٨ صفحة منها ، (ص ٢٥-٣٣) ولا عنوان لها ولا خاتمة . بل تبدأ بما يلي :

« قال الامام ابو علي محمد بن الحسن المظفر الكاتب اللوي المروف بالحاماني لا رأيت ابا الطيب احمد بن الحسين ابن الحسن الشاعر اللوي المروف بالمتني قد اتى في شعره على اغراض فلسفية ومعاني منطقية اردت الموافقة بين ما توارده به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر ... الخ »

ولا تعرف النسخة التي اخذت عنها .

وفي هذه الطبعة ٧٩ مقابلة تحتوي كل منها على بقرة من اقوال ارسطو وبيت من حكم المتني .

وقد اطلنا في فهرس الكتب العربية في المتحف البريطاني^(١) على ذكر طبعة للرسالة المذكورة في بيروت ، ذات ١٨ صفحة من القطع المثلث . وهو يرجع زمن طبعا سنة ١٨٦٠ ، الا انه لا يجوز بذلك بدليل علامة الاستفهام التي يردف بها الرقم المذكور . ونحن لا نعرف هذه الطبعة ، بل اننا نميل الى القول انها هي طبعة النس انطون بولاد نفسها ، اقتطعت من مجموعته ، وافردت على حدة بدليل مشابهتها لتلك الطبعة في عدد الصفحات وقطعا ، ومحل طبعا . وبدليل ان احداً من الادباء ومؤرخي الادب لم يُشر الى هذه الطبعة . فبروكلمان^(٢) ، والاب شيخو^(٣) ، لا يذكران الا طبعة القسطنطينية ، وهي

A. G. Ellis, *Catalogue of arabic books in the British Muscum. vol. II,* (١

London, 1901. col. 182.

C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Literatur, I Band, II öimar,* (٢

1898, p. 88.

P. L. Cheikho s. j., *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque* (٣

Oriental, II, Philosophie et Ecriture sainte — Beyrouth, 1925. p. 213.

التي ستكلم عنها ؛ وجرجي زيدان^١ لا يذكر الا طبعة القس انطون بولاد البيروتية .

اما الطبعة الثانية فظهرت في مطبعة الجوائب في التسططينية سنة ١٣٠٢ هـ . (١٨٨٤) ، في مجموعة ادبية ذات ٢٩٦ صفحة بقطع هُمن كبير ، دُعيت « التحفة البهية والطرفة الشبية » ، واحتوت على ١٧ رسالة « مُنتجة تشمل على ادبيات مميعة ونوادير مطوية » ، وكانت الحاتمية الحادية عشرة منها ، وقمت في ١٦ صفحة (١١٤-١٥٩) وعنوانها: الرسالة الحادية عشرة وهي الرسالة الحاتمية لاهلامه ابي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي « ، وبدونها :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« وما توفيقي الا بالله »

• قال ابو محمد (٣ بن الحسن بن المظفر الحاتمي رحمه الله اما بعد . . . والذي بيني على تأييد هذه الانااط المنطقية والآراء الفلندية التي اخذها ابو الطيب احمد بن الحسين المتيني مفاخرة خصومي فيه لا رأيت من تور عتولم عنه وتصغيرهم لقدره . . . ووجدنا ابا الطيب احمد بن الحسين المتيني قد أتى في شعره باغراض فلسفية وممان منطوية فان كان ذلك منه عن فحص ونظر . . . الخ «

وهذه المقدمة ، الا بعض اختلافات طفيفة ، هي الواردة في مخطوطتي المكتبة الشرقية اللتين سندرسهما . وقد أخذت الطبعة المذكورة عن نسخة كتبت سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦) بدليل خاتمها وهي :

« قمت الرسالة والمحدثه رب العالمين ، وصل الله على نبيه - سيدنا محمد وآله الطاهرين ، وسام نيلياً كثيراً كتبت في شهر سنة اربع واربعين وسبعمائة (٦٤٤) »

وتحتوي هذه الطبعة على ٩٧ مقابلة ، في كل منها فقرة من حكم ارسطو وبيت للمتيني ، الا اربع مقابلات منها ورد في كل منها بيتان . وهي بالاجمال اقرب الى مخطوطتي المكتبة الشرقية من الطبعة السابقة التي لا نعلم مصدرها .

١ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، المزه الثاني ، مصر ١٩١٢ ، ص ٢٤٨

٢ ابو محمد: كذا ، والصواب: ابو علي محمد ، كما في العنوان ، وقد سقطت لفظة

« علي » في الطبع دون شك .

نسخها الخلية

نعرف للرسالة الحاتمية اربع نسخ خطية ، في العالم العربي . منها واحدة في مكتبة غوطا (المانية) رقمها ٢٢٣٤ ، وواحدة في مكتبة مدينة الجزائر رقمها ٥٦٦ . وقد ذكر الاثنان بروكلمان في ترجمته " . اما مخطوطة دار الكتب الكبرى في مصر فتحتوي على الرسالة الحاتمية الاولى المروفة « بالمروحة » ، لا على حاتمتنا هذه .

واما المخطوطتان الباقتان فهما في المكتبة الشرقية ، في كلية القديس يوسف ، وعليهما بنينا طبعتنا . فيحسن بنا ان نقول كلمة في كل منها .

المخطوطة الاولى

رقم الاولى ٣٤٢ ، وهي من مجموعة الآثار الفلسفية . تظهر في كراس جميل ، حسن التجليد ، قوي الجلد ، محاط ، في دفتيه ، بأطار ذهبي مع نقش ذهبية في الوسط . يحتوي على ٥٣ ورقة مكتوبة اكثرها على صفحة واحدة . والورق صقيل ، كالد لون ، يبلغ طول الصفحة منه ٢٥ سنتيمتراً بعرض ١٦ سنتيمتراً . اما القسم المكتوب منها فيبلغ ١٣-١٤ سنتيمتراً بعرض ١٠-١٠ ١/٢ . والصفحة المكتوبة محاطة باطار مزدوج ملون بالاحمر والازرق والاخضر في المقدمة ، وبالاحمر في سائر الرسالة . والحظ نسخي واضح جلبي ، على قسط من الجمال ، متوسط الكبر في النثر يبلغ علوه ٢-٩ مليترات . اما في الشعر فهو كبير يبلغ علوه السنتيمترين . وقد أفردت فيه المناوين من مثل : « قال ارسطو » و « قال المتنبي » فذكرت في وسط السطر بحبر تارة احمر وطوراً اخضر ، بين نقشتين خضراوين مع الحبر الاحمر ، وحمراوين مع الاخضر . اما سائر الكلام فمكتوب بالحبر الاسود . وقد زينت الصفحة الاولى بتساوير غريبة من زهور ، ونبات ، وطيور ، مع حيتين ، وحيوان يُشبه الثعلب وآخر

من النوع نفسه. كل ذلك بالوان عديدة من اخضر واحمر واسود ونضوي او رصاصي. ولم يكتب شي. في هذه الصفحة. اما الصفحة الثانية فقيا العنوان عطاءً بالاطارات المذكورة، وبزهور متعددة الالوان، مع طائرين واحد في كل زاوية من اعلى الصفحة. وصور هذه الصفحة مع صفحة اخرى من الرسالة مثالين من المخطوطة المذكورة.

وفي آخر الورقة ٥٢ تنتهي الرسالة، فيزيد عليها الناسخ في الورقة ٥٣ بمض ابيات لا صلة بينها وبين ما تقدم، ويذكر اسمه وتاريخ نسخه اياها بقوله:

« قد علقها بيده أركذل السيد ميخائيل ولد [حنا فخر] في ١٥ ذ الحجة ختام سنة ١١٢٨ الف ومائة واربية وسبعين للهجرة. »

اي ١٨ تموز ١٢٦١، وقد وضمتا لفظتي « حنا فخر » بين معقنين لانهما تظهران في النسخة كانتها أضيفتا بعد ان حُكَّ الكلام الذي كان محلها. وقد دخات هذه المخطوطة في ملك المكتبة الشرقية سنة ١٨٩٧، اشتراها المرحوم الاب لويس شيخو في بيروت ووصفها، مع المخطوطة التالية، في التسم الرابع من وصفه لمخطوطات المكتبة الشرقية.^{١١}

تحتوي هذه المخطوطة على ٩٩ مقابلة، في كل منها فقرة لاوسطر ويبت للدنتي، الا اثنتين منها اشتمت كل منها على بيتين.

هذا ما خص مظهر المخطوطة. اما قيسها الداخلية فحسنة بالاجمال لان التصحيف فيها قليل، وضبطها من حيث اللفظ موافق الا في ما ندر. ألا ان في ضبطها النحوي بعض الاضطراب، فالكاتب شكل فيها كل الكلمات تقريباً فوقع في هفوات عديدة كان من السهل ان يتجنبها. ومنها يكن من امر فالمخطوطة حسنة يصح الاعتماد عليها.

المخطوطة الثانية

اما المخطوطة الثانية فرقمها ٣٦١، وهي ترقى الى اوائل القرن التاسع عشر. وتشتمل فضلاً عن الرسالة الحاتمية على مجموعة حكمية فلسفية هذا ترتيها :

١ - الرسالة المعروفة بالحاتمية (ص ١-١٢)

٢ - جواب النس بولس عن سؤال في تقدير الله للممر والرزق (ص ١٢-١٤)

٣ - رسالة هرمس الحكيم الملك الحكمة في مطابفة النفس ووجوبها الى سبيل الخلاص (ص ١٥-٢٠)

٤ - رسالة افلاطون الحكيم الى فوفيريوس في حقيقة هي الذم والتم . . . (ص ٥١-٥٨)

٥ - يلي ذلك جداول في الاشهر الهجرية والمنهجية والساعات والنجوم والابراج وما شاكل (ص ٥٩-٦٤)

٦ - وقد زيد ، بعد ان ختم النسخ الكراس في الصفحة ٦٤ ، وصية آدم لانه ثبت قبل وفاته (ص ٦٤-٦٧)

فيظهر مما تقدم ان اوراق المخطوطة ٣٤ مكتوبة على الصفحتين . والكراس مجلد بالقماش تجليداً حسناً ، وورقه خشن متين منفصل قليلاً بالرطوبة ، يبلغ طوله $19\frac{1}{2}$ سنتيمتراً وعرضه $13\frac{1}{2}$ سنتيمتراً ، وطول المكتوب من الصفحة $15\frac{1}{2}$ سنتيمتراً بمرض $10\frac{1}{2}$ سنتيمترات ، يدخل فيه من ١٩ الى ٢٢ سطراً محاطة باطار بسيط . اما النسخ فهو ميخائيل بن شاهين طراد كما يتضح من خاتمة الكراس . (ص ٦٤) ، وهي :

« قد كمل نسخ هذه الكراسه التي تسمى مسيت (مسيبة) النواد يد ناسخها انفر واخطا العباد عبده ميخائيل شاهين طراد سنة ١٣٣٤ » (١٨٠٩)

وخطه من نوع النسخي واضح على الغالب ، ولكنه بعيد عن الجمال . وكله بالحرف الاسود .

اما الرسالة الحاتمية فتقع في اول الكراس في ١١ صفحة ونصف الصفحة ، وقد اختصرت منها افعال «القول» ، في «قال ارسطو» ، و«قال المتنبي» فلم يذكر الا اسم الحكيم والشاعر في اول السطر ، بحرف كبير في الصفحة الاولى ، وبحرف اعتيادي في ما يليها من الصفحات . وقد احتوت على ٩٨ مقابلة في كل منها فقرة لارسطو وبيت للمتنبي ، الا اثنتين وردت في كل منهما بيتان . ومادتها صحيحة بالاجمال ، الا ان تاءات الاسماء الموثقة وردت كلها تقريباً مبسوطة . فتدري في العنوان مثلاً : «الرسالت المعروفة بالحاتميت فيا وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمت»

(لما صلة)